المحاضرة الخامسة: مكانة ودور الحركة الوطنية في نشر الوعي الثقافي الوطني:

1. تيار النخبة:

عرّف المستعرب الفرنسي جورج مارسي النخبة الجزائرية على أنهم تشكيل جمع بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية على عكس بعض التعريفات الأخرى، والتي اعتبرت النخبة أقلية من الموظفين والمحاميين والصحافيين والمعلمين، وقد طالبت تلك الجماعة بالمساواة في التعليم والضرائب وفرص العمل مفضلين التجنيس الكامل والاندماج وغيرها من الإجراءات التي تساعد على ادماج الجزائر بفرنسا، بما فيها التمثيل النيابي للجزائريين وإلغاء قانون سيناتوس كونسلت الثاني 1865م[1].

كتب الاندماجيون وبحثوا كثيرا عن سبل للتقارب بين الجزائريين والفرنسيين على أساس مستقبل واحد ووطن واحد، وقد نشط هؤلاء في كتاباتهم من أمثال :لويس خوجة، أحمد بوضربة، بلقاسم بن التهامي والشريف بن حبيلس...الخ...، ثم جيل كامل من النخبة المفرنسة والتي تطورت مطالبها فيما بعد، ولكن آمالهم وخيبة أملهم وفشلهم قد سقطت مع سقوط مشروع بلوم فيوليت سنة 1936م، فرجع بعضهم إلى أحضان الشعب مثل فرحات عباس، في حين بقي البعض الآخر متعلقا بالأوهام وغارقا في الأحلام من أمثال ربيع الزناتي وابن جلول.....[2].

2. نشاط الأمير خالد الجزائري:

تحركت الأوساط التقليدية والمثقفون والمنتخبون مع نهاية القرن التاسع عشر في تقديم العرائض للسلطات الفرنسية في قضايا كثيرة لها علاقة بمعتقدهم ألا وهو الدفاع عن الشريعة الإسلامية وكذلك أملاك الحبوس والابتزاز وغيرها من المطالب الأخرى، فحمل بذلك برنامج الامير خالد –حفيد الأمير عبد القادر وأول من قدم مطالب سياسية لم تكن معروفة من قبل وترك بصمته في تاريخ الجزائر غداة الحرب العالمية الأولى– بعض الآمال، فبالإضافة إلى انتقاده لقانون 1919م، ورفضه التجنيس اشترط إلغاء كل القوانين الاستثنائية وإنشاء جامعة عربية، وممارسة

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص163.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830–1954م)، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص371.

بعض الحريات ومن بينها حرية الصحافة ونشاط الجمعيات، ولكن بعد رحيله عن الجزائر فشلت حركته بين سنتي (1923-1925م)، ولم يطرح الشبان الجزائريون القضية الوطنية، حيث تخلى الكثير من رفاقه عليه وبالتالي التنكر للمثل الأعلى القومي الذي كان المسلمون قد اكتشفوه في دعاياتهم ونشاطاتهم السابقة[1].

ذكرت الكتابة غليسبي عن نشاط الأمير خالد فقالت: "... قام بنشاط سياسي بين الجزائريين من سكان المدن... وقد حاول - دون جدوى- أن يوحد بين حركة المقاومة في الأرياف التي سارت نحو التأخر والزوال منذ 1871م وبين وطنية مدنية لا تزال في طور النشوء، وقد كشفت حركته القصيرة العمر والتي أسماها (كتلة الجزائريين المنتخبين) عن تطرف الإدارة الفرنسية، كما هاجمته إقطاعية المستوطنين والموظفين (الدينيين) الجزائريين الذين عيّنهم الفرنسيون"، ثم تضيف "لكن الفرنسيين لم يأبهوا بالمطالب الإصلاحية التي قدمها ونفوه من البلاد عام 1924م"[2].

3. حزب نجم شمال إفريقيا:

يعتبر هذا الحزب أول حركة سياسية نشطة ومنظمة في الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ففي سنة 1926م نشأ نجم شمال إفريقيا الذي أسندت رئاسته الشرفية للأمير خالد، في حين ترأس حاج علي عبد القادر رئاسته الفعلية لما كان يمثل بلدان شمال إفريقيا الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب)، ومنذ سنة 1927م أسندت رئاسته إلى مصالي الحاج ودخل الكفاح كحزب سياسي جزائري في عهده الجديد[3].

ونظرا ولأنه أول حزب اتضحت ملامحه الثورية بعد أن نادى بالاستقلال الكامل للجزائر، وجلاء القوات الفرنسية، وتكوين جيش وطني، فقد فرضت السلطات الفرنسية عليه القيود، فاعتمد بشكل خاص على الصحافة في الاتصال بالجزائريين سواء في الجزائر أو في فرنسا من خلال

---

[1]- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939م)، ج1، تر: أحمد بن البار، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص.ص118-128، 141.

[2]- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى (1920-1936م)، ج1، منشورات السائحي، الجزائر، 2010، ص106.

[3]- المرجع نفسه، ص135.

صحيفتي (الإقدام، والإقدام الباريسية)، وكانت هذه الصحيفة شهرية وتطبع باللغتين العربية والفرنسية[1].

تعرّض النجم للملاحقات والقمع البوليسي فتحتم عليه أن ينشط في السرّية، ومنذ سنة 1929م واصل نشاطه تحت اسم نجم شمال إفريقيا المجيد، وفي سنة 1930م أنشأ النجم جريدة (الأمة) التي أضفت الشعبية على شعارات الحركة الوطنية، وتكونت مجموعات من أصدقاء الأمة في الجزائر وفرنسا والذين صاروا أول المناضلين الوطنيين في الجزائر بعد عودتهم من فرنسا[2].

مع تزايد نشاط نجم شمال إفريقيا ومشاركته في المؤتمر الإسلامي تم حلّه فيما بعد، وأحست فرنسا بخطر هذا الحزب الذي أعاد بناء نفسه من جديد وتحت مسمى جديد هو حزب الشعب الجزائري (1937م)، حيث فكر سنة 1938م في التحضير لثورة مسلحة بعد اليأس من نيل مطالبه سلميا وسياسيا، لكن سرعان ما انتهى به المطاف يوم 29 سبتمبر 1939م إلى الحل الرسمي واعتقال زعمائه أو زعماء حزب الشعب أو الحركة الوطنية الثورية والتي لم يرضي نشاطها أي أحد من السياسيين أو الدينيين باستثناء المناضلين أو الجماهير الشعبية[3].

لم يمنع سجن ومتابعة أعضاء وقادة حزب الشعب من محاولات إعادة تنظيمه، حيث أشارت التقارير الفرنسية إلى عودته من خلال الدعاية الشفهية والكتابات على الجدران والإعلانات الموجودة هنا وهناك، وإنشاء الجمعيات الرياضية، وقد جعل احتلال الألمان لفرنسا في ظرف قصير جدا سنة 1939م بعض المسؤولين استغلال الظروف لتقوية الروابط بين النشطاء السياسيين والمناضلين للتحضير لإعادة بعث الحزب في ثوب جديد[4].

لم تكن مهمة حزب الشعب هي تكوين الإطارات فقط، بل استخدام حاملي الشهادات والطلبة الشباب وكذلك طلبة الثانويات في النضال السياسي، بيدا أن هؤلاء المثقفون رفعهم تفوقهم

---

[1]– نفسه، ص152.

[2]– محفوظ قداش، جرائد الجزائر من تاريخ الجزائر (1830–1954م)، تر: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص294.

[3]– عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936–1945م)، ج2، منشورات السائحي، الجزائر، 2010، ص225.

[4]– محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1939–1951م)، ج2، تر: أمحمد بن البار، دار الأمة للنشر، الجزائر، 2008، ص819.

الثقافي إلى الصفوف الأمامية، فأعتلى بذلك أكثرهم مناصب قيادية على المستوى الجهوي والوطني ومنهم: الدكتور لمين دباغين، دردور وهو جراح أسنان، حاج سعيد شريف وهو محامي، محفوظي (أستاذ)، دماغ العتروس (مترجم)، معيزة (محامي)، وكذلك الطلبة ونذكر منهم: بن يوسف بن خدة، مصطفاوي، بن مهل، ومن طلبة الثانويات نذكر: آيت أحمد حسين، ولد حمودة، عمر أوصديق[1].

تغيرت أفكار وتوجهات النخب الجزائرية المثقفة تغيرا جذريا، فها هو فرحات عباس الذي كان بالأمس يُصرّح بأن "فرنسا هي أنا"، نجده مع سنوات الحرب العالمية الثانية يُطالب بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره في إطار حكم ذاتي يتبع مباشرة لفرنسا، فنجده يجتمع مع زعماء الجزائر من أجل وضع بيان شهر فبراير 1943م، يتكون من ثلاث نقاط أساسية وهي:

- إفلاس الاستعمار الفرنسي في سياسته.
- الاستعمار هو سبب ما آل إليه الجزائريون من وضعية مزرية من فقر وجهل وتشرد.
- الحل الوحيد هو إعلان الجمهورية الجزائرية المستقلة.

وقد انضم حزب الشعب الجزائري إلى مطالب فرحات عباس وتم تكوين حركة جديدة أُطلق عليها (أحباب البيان والحرية) [2].

اضطلع بعض المثقفين الذين لم يكون مهيكلين من قبل اجتماعيا ولا إيديولوجيا تحت راية الحركة الجديدة، ولعبوا دورا حاسما في عملية التأطير على الرغم من ميل بعضهم إلى تشكيلات سياسية أخرى، تميزت بضعف تأثيرها على اتخاذ القرارات المصيرية في تلك الفترة ومن أهمها استقلال الجزائر كما فعل نجم شمال إفريقيا، تنظيم حزب جماهيري، اعتماد مبدأ الكفاح المسلح كوسيلة للتحرر، تأسيس جيش سري...الخ[3].

---

[1]– نوارة حسين، المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، سنوات من الجمر لسنوات من النار من بداية القرن العشرين لغاية الاستقلال، تر: سعيدي فتحي، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص.ص189–190.

[2]– عبد الحميد مسعود الجزائري، حقيقة الجزائر، مكتب الجزائر للدعاية والنشر، الجزائر، د.س.ن، ص70.

[3]– نوارة حسين، المرجع السابق، ص190.

توزعت النخب الثقافية الجزائرية إلى تيارات كبيرة، لم تكن تلتقي بالوطنية إلا في مناسبات معينة، وكانت تقودها حتميات اعتباراتها الإيديولوجية، وهو ما أكد عليه المختص في علم الاجتماع علي الكبير بقوله: "... إن الوطنية الجزائرية عكس ما قد توحي به المظاهر، كانت معاكسة تماما لإيديولوجية عقائدية، كما كان مثلا البعث بالنسبة للعلماء، أو الستالينية بالنسبة للشيوعيين... وهكذا استطاعت أن تكون في آن واحد داعية إلى العروبة والإسلام، والاشتراكية واللائكية والقدم من أوجه عديدة، ولكن داعية أيضا إلى الحداثة من أوجه أخرى، ذلك أن المبدأ الموحّد لجميع تلك العناصر ذات الأصول والمضامين المختلفة، لم يكن يكمن في طريقة عملية نظرية، ولكن في إرادة سياسية تتلخص بأكلمها في الثنائية: الاستقلال/ الشعب..." [1].

4. الحركة الطلابية:

يذكر أبو القاسم سعد الله أن الحركة الطلابية تكونت في فرنسا من ممثلين عن بلدان المغرب العربي الثلاث، وكانت من أنشط المنظمات خلال فترة الثلاثينات من القرن العشرين، فكان لها دور بارز لعبته في الدفاع عن أهم القضايا الوطنية في قالب ثقافي واجتماعي كالدين والتعليم واللغة وحرية المرأة والعدالة الاجتماعية وغيرها، وبالتالي فقد كانت تلك القضايا نقطة إلتقاء بين جمعية العلماء والحركة الطلابية في الجزائر والمغرب العربي[2].

تجمع الطلبة المسلمون الجزائريون في إطار جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في مدينة الجزائر سنة 1919م، وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين لشمال إفريقيا بباريس سنة 1927م، وابتداء من سنة 1930م اقتحموا مجال العمل السياسي، الأمر الذي أدى بهم إلى القطيعة مع الحركة الطلابية الفرنسية، وهذا من أجل استقلالها فيما بعد لتشكيل اتحادات وطنية مستقلة مغاربية في البداية ثم جزائرية ومغربية وتونسية تشمل في تنظيم واحد الأشكال الثلاث التي بقيت متمايزة لدى الطلبة الفرنسيين[3].

---

[1]– نوارة حسين مرجع سابق، ص192.

[2]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مرجع سابق، ص105.

[3]– غيي بروفيليي، مرجع سابق، ص104.

إن انتعاش الحركة الفكرية الإصلاحية في الجزائر في الفترة ما بين الحربين من خلال كثرة النوادي التي اهتمت بتعليم وتثقيف الجزائريين، وأيضا الجمعيات الثقافية التي برزت بشكل واضح من خلال نشاط قادته جمعية العلماء المسلمين والأقلام التي نشطت من خلال صحف الجمعية وحزب نجم شمال إفريقيا، كل ذلك فتح الباب على مصراعيه لمختلف شرائح المجتمع لمواجهة الظروف المزرية والمعاملة العنصرية التي تلقاها الجزائريون من طرف الاستعمار، فشجعت تلك الظروف على إخراج الحركة الطلابية إلى الوجود، وكان للجمعيات الخاصة بالمسلمين فروع في جامعة الجزائر وهي:

- الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في شمال إفريقيا.
- جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (AEMAN).
- جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا (AEMAF)[1].

كما تأسست الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في شمال إفريقيا سنة 1918م، والتي تولى رئاستها بن حبيلس، ثم فرحات عباس فيما بعد، وتوالى على رئاستها عدد من جماعة النخبة بعد فرحات عباس، وكان هدف تلك الجمعيات والوداديات نشر العلم والثقافة الإسلامية في الجزائر، مساهمة منها في حركية التنوير والتثقيف لإخراج المجتمع من مستنقع الجهل والأمية[2].

[1]– سناء نويجي، دور المثقفين الجزائريين في الثورة التحريرية (1954–1962م)، (أحمد بن طالب الإبراهيمي، محمد حربي)، أنموذجا، أطروحة نهاية الدراسة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2019/2018، ص71.

[2]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص106.